اسرائيل. مثل محاولة المطران حكيم، والياس كوسا، وغيرهما.

ان السلطة عندما شعرت بفشل محاولاتها طرد العرب، وتنبهت الى بدايات ظهور مد وطني حقيقي، حاولت احتواء هذه الظواهر الجديدة، والالتفاف حولها. المقصود، هنا، الالتفاف على بدايات النهضة الوطنية، وبدايات العمل الوطني الجماعي، وذلك من خلال اساليب عدة، من ضمنها تشديد القمع ضد العناصر الوطنية، وايجاد وتشجيع القوائم العربية داخل الاحزاب الصهيونية، ثم دفع بعض الرموز الى انشاء حزب عربي يقطع الطريق ازاء بروز حركة وطنية عربية.

بالنسبة الى النقطة الاولى، فان سجل الحكم العسكري حافل بالممارسات القمعية الشاملة ضد الشعب الفلسطيني ورموزه الوطنية في الداخل. اما فيما يتعلق بالنقطتين التاليتين، فان محاولات عديدة برزت من قبل افراد مشبوهين، دفعت بهم الاحزاب الصهيونية للاعلان عن اقامة حزب عربي. وكانت هذه المحاولات مرتبطة بحزب صهيوني، ولم تكن مستقلة على الاطلاق، ومن ضمنها المحاولات التي قام بها حزب العمل (مباي سابقاً)، او احدوت عفوداه. وجميع هذه المحاولات لم تعمر طويلاً، لانها كانت مرفوضة من قبل الناس.

المحاولة الاكثر جدية جاءت في اعقاب توحيد مباي مع احدوت عفوداه، حيث استغل يغئال الون علاقاته الشخصية مع بعض العرب واسسوا ما يسمى بـ «الحزب العربي». وكان من قيادته زكي دياب، من طمرة، وهو معروف بارتباطاته بالسلطة، اضافة الى كونه زعيماً لاحدى حمائل طمرة؛ وسليم خليل، من بلدة الطيبة، وكان في حينه زعيماً لاحد فروع عائلة جبارة في الطيبة؛ وبالتأكيد، فان محاولة المطران حكيم لتأسيس حزب عربي كانت واحدة من ابرز المحاولات المشبوهة، الا انه فشل في تحقيق هدفه.

اما بالنسبة الى دعوة المحامي الياس كوسا لانشاء حزب عربي، فانها تختلف عن المحاولات السابقة. فالياس كوسا فلسطيني من حيفا، ومن اصل مصري، وهو، في رأيي، شخص وطني، ولا يشك في وطنيته، ولم تكن له اية علاقة مع الاحزاب المشبوهة. ولكن محاولته قد فشلت لعدة اسباب، من ضمنها حساسية موقف جماهيرنا تجاه كل ما هو اسرائيلي. فقد دعا الياس كوسا، وجبور جبور، رئيس بلدية شفاعمرو، الى انشاء حزب عربي. الا ان مقتل هذه الدعوة قد جاء في اعقاب دعوة الياس كوسا الشباب العربي الانضمام الى صفوف الجيش الاسرائيلي، لانه كان يعتقد بأن هذا الامر سيساهم في انتظامهم. ولم تكن نظرته هذه صحيحة، وبذلك فشلت الدعوة وماتت الفكرة التي نادى بها. بل، بالاحرى، ان فكرته قد ولدت ميتة. فالدعوة ظهرت في العام ١٩٥٤، وانتهت في العام عينه.

أما بالنسبة الى المحاولات الوطنية الجدية، والصادقة، فقد كانت موجودة. الا ان غياب القيادة المجربة، والمعروفة جماهيرياً، أخر في ظهور اية حركة منظمة. لذلك، لم يكن مسغرباً، ابداً، ان اول، وأهم، حركة ظهرت في مناطقنا، بعد العام ١٩٥٨، كانت حركة ناصرية. لقد فجّر عبدالناصر، في داخلنا، احساسنا بذاتنا وكرامتنا، وادركنا ان هناك من يفكر بنا، ويهتم بما يهمنا. من هنا، يمكن القول ان بدايات العمل السياسي الوطني قد بدأت في العام ١٩٥٤، وتصاعدت في ١٩٥٦، وتبلورت في ١٩٥٨. ففي ١٩٥٦، وبعد اندحار العدوان الثلاثي على مصر، وصل الشعور القومي ذروته، وظهرت قيادات جديدة عبرت عن رأيها صراحة وبدون خوف او وجل، انها القيادات والشخصيات نفسها التي شكلت، فيما بعد، الجبهة الشعبية؛ امثال منصور كردوش، وحبيب قهوجي، ومحمد عبدالرحمن، وحنا مسمار، وصالح برانسي؛ اما بالنسبة الى الياس معمر، وصبري جريس، فقد كانا طالبين في الجامعة في ذلك الوقت، وكانا من القيادات في موقعيهما، ثم اصبح صبري من قيادة حركة الارض. كان انتماؤنا القومي، في تلك المرحلة، حاداً الى درجة الشوفينية، ولكن لم تكن فيما بيننا علاقات منظمة؛ كنا نتلمس طريقنا.

الجبهة (العربية) الشعبية

قامت الجبهة الشعبية في العام ١٩٥٨ للدفاع عن حقوق المواطنين العرب لاهداف سياسية. وهذه نقطة خلاف بيننا (التيار القومي) وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي. وقد شكلت الجبهة الشعبية بعد ان كان المناخ السياسي ناضجاً وملائماً لتحالف القوى في جبهة واحدة. ففي اعقاب عدوان العام ١٩٥٦، ونتيجة لموقف الاتحاد السوفياتي الايجابي